

مصادر الضغط المهني التعليمي عند المعلمين

د. حيواني صباح

د. بوالقمح محمد

كلية علم النفس وعلوم التربية

جامعة قسنطينة2، عبد الحميد مهري- الجزائر

ملخص

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن مختلف مصادر الضغط المهني الذي يعاني منه المعلم الجزائري، وذلك بحسب نتائج دراستي الباحثين تيغزة أمحمد وزبدي ناصر الدين، حيث أن نتائج الدراستين المشار إليهما تشدد على أن اكتظاظ الأقسام ومقاومة التلاميذ بالإضافة إلى نقص الوسائل البيداغوجية وضغوط الإدارة، تعتبر كمصادر للضغط المهني المعاش أثناء أداء مهمته التعليم.

الكلمات المفتاحية: الضغط المهني، المعلم، أعراض الإجهاد، الاحتراق النفسي.

Résumé

Cet article vise à mettre en évidence les différentes sources de stress professionnel dont souffre l'enseignant algérien. Les résultats des études effectuées par les chercheurs Tighezza .A et Zebdi. N à ce sujet mettent l'accent sur le gros effectif des élèves et leur résistance, le manque de moyens pédagogiques, la pression exercée par l'administration, les multiples contraintes des programmes comme sources de stress.

Mots clés : Stress professionnel, Enseignant, Symptômes, Burnout.

مقدمة

إذا كانت مجالات العمل المختلفة تزخر بمصادر الضغوط التي يمكن إرجاع بعضها إلى العامل والآخر إلى المؤسسة والبعض الثالث إلى البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، فإنه حسب تصنيف منظمة العمل الدولية تعد مهنة التدريس من أكثر مجالات العمل ضغوطاً فهي أكثر المهن الضاغطة وذلك من خلال ما تذخر به البيئة التعليمية من مثيرات ضاغطة يرجع بعضها إلى شخصية المعلم، ويرجع البعض الآخر إلى البيئة الاجتماعية الخارجية التي يعيش فيها المعلم ومدى تقديرها لدوره وللأهمية التعليمية.

1- الدراسة الأولى:

دراسة الباحث أ.د. تيغزة امحمد حول الضغط المهني التعليمي وإشكالية التوجيه والإرشاد (وهران، 2005).

1-1 هدف الدراسة: هدفت هذه الدراسة للكشف عن:

- مصادر الضغوط المهنية للمعلمين.
 - اختبار العلاقة بين مصادر الضغوط المهنية التعليمية وأعراض الضغط (الإجهاد) النفسية كالقلق والاكتئاب، والأعراض النفس - جسدية، والأعراض الاتجاهية كانهخفاض الرضا المهني للمعلمين في مواقف تعليمية ضاغطة معينة.
- كما هدفت إلى تحليل متضمنات نتائج الضغط والإجهاد ودلالاتها بالنسبة لخدمات التوجيه والإرشاد التي تتوجه للمعلم.

2-1 أسئلة الدراسة:

تمركزت أسئلة الدراسة التي طرحها الباحث الأستاذ تيغزة على ثلاثة أسئلة رئيسية هي:

- ما هي مصادر الضغوط المهنية التي يعاني منها المعلمون في مهنتهم؟
- هل توجد علاقة بين مصادر الضغوط المهنية التعليمية وأعراض الإجهاد المتمثلة في القلق والاكتئاب والأعراض النفسية الجسدية وانخفاض الرضا المهني؟
- ما هي استراتيجيات التصرف أو التعامل التي يلجأ إليها المعلمون في المواقف التعليمية الضاغطة؟

3-1 عينة الدراسة:

انطوت العينة الكلية على 220 معلما من معلمي الطور الأول والثاني (التعليم الابتدائي)، وعلى 115 أستاذا من التعليم المتوسط، وعلى 127 أستاذا من التعليم الثانوي. وبلغت النسبة المئوية للإناث 76% من عينة التعليم الابتدائي و45% في التعليم المتوسط، و39% في الثانوي. وكانت النسبة المئوية للمتزوجين في كل مجموعة كما يلي: 57% من الابتدائي و80% من التعليم المتوسط و74% في الثانوي، وكان متوسط عمر المعلمين في الابتدائي 33 سنة بانحراف معياري 08 سنوات، ومتوسط العمر لمدرسي التعليم المتوسط 34 سنة بانحراف معياري 09 سنوات، ومتوسط العمر لأساتذة الثانوي 36 سنة بانحراف معياري 09 سنوات. أما متوسط الخبرة فبلغ 13 سنة بانحراف معياري 08 سنوات في عينة التعليم الابتدائي، وبلغ 14 سنة بانحراف معياري 09 سنوات في عينة التعليم المتوسط، وبلغ 11 سنة بانحراف معياري 06 سنوات في عينة التعليم الثانوي، وتنتمي العينات الفرعية الثلاث إلى المدارس الابتدائية والمتوسطات والثانويات المتواجدة بمدينة وهران وضواحيها بالغرب الجزائري.

4-1 أدوات الدراسة:

1- صمم الباحث استبياناً يستهدف قياس الضغوط المهنية التعليمية، وانطوى على 60 عبارة، ويقدر المجيب مدى انطباق محتوى كل عبارة عليه، وذلك باستعمال سلم خماسي الفئات يتراوح من "نادر جداً" إلى "دائماً"، ولقد تراوح معامل الثبات للاستبيان بأسلوب التجزئة النصفية على مستوى العينات الفرعية الثلاث من 0.78 إلى 0.86، كما أن كل فقرة من الاستبيان حازت على نسبة لم تقل عن 70% من اتفاق تقديرات 10 محكمين يدرسون في معهد علم النفس بجامعة وهران فيما يتعلق بارتباطها أو موافقتها لأغراض المقياس.

2- كما اعتمد الباحث على مقياس التقدير الذاتي للاكتئاب الذي وضعه زونج (Zung, 1965) والذي ينطوي على 20 عبارة، نصفها صيغ صياغة سالبة في اتجاه ارتفاع أعراض الاكتئاب، والنصف الآخر من عبارات المقياس صيغ صياغة موجبة في اتجاه انخفاض الاكتئاب، وتراوح معامل الثبات للتجزئة النصفية لهذا المقياس ما بين 0.88 إلى 0.90.

3- كما استعمل الباحث كذلك مقياس حالة القلق لسبيلبرجر وآخرين (Spielberger et al, 1970) وينطوي المقياس على 20 عبارة، وقد قام الباحث بالتدقيق في ترجمته من خلال مقارنة الترجمة التي قام بها الباحث عبد الرقيب محمد أحمد البحيري الذي كيف المقياس على المجتمع المصري بترجمة أساتذة في علم النفس بجامعة وهران يجيدون اللغة الإنجليزية، وتراوح معامل الثبات عن طريق التجزئة النصفية للمقياس من 0.75 إلى 0.88.

4- أما مقياس الأعراض النفسية الجسدية فاقتبس الباحث من قائمة جيرين وآخرين (Gurin et al, 1980) وينطوي المقياس على 15 عبارة تدل على الأعراض النفسية الجسدية المختلفة كأوجاع الرأس، وفقدان الشهية، والأرق،

واضطراب المعدة أو الهضم، والاستهداف للتعب، وخفقان القلب، والغثيان وغيرها، وتراوح معامل الثبات للعينات الثلاث من 0.66 إلى 0.79.

5- ويحتوي مقياس الرضا المهني الذي أنشئه الباحث خصيصا لهذا الغرض على 10 عبارات، نصفها صيغ صياغة موجبة في اتجاه ارتفاع الرضا المهني، ونصفها الآخر صيغ صياغة سالبة في اتجاه انخفاض الرضا المهني، وتراوحت معاملات الثبات للعينات الثلاثة من 0.82 إلى 0.89 ولم تقل نسبة الاتفاق في تقدير المحكمين لصلاحية كل عبارة عن 80%.

5-1 نتائج الدراسة:

توصل الباحث إلى نتائج تتعلق بكل سؤال من الأسئلة الثلاث التي وردت سابقا:

1 - ما هي طبيعة الضغوط المهنية التعليمية الأكثر ترددا في مهنة التعليم؟
لقد تجلت هذه المصادر في كثرة الأعباء، الضغوط المتعلقة بالتلميذ، ضغط البرامج، ضغط التشريعات واللوائح، ضغط الإشراف الإداري والتربوي، ضغط ندرة الحوافز، ضغط اضطراب العلاقات الداخلية، ضغط البنية المدرسية ومحيطها الفيزيقي والمادي، ضغط المحيط الاجتماعي الخارجي.

1-1 - أما أعباء التعليم فتجلت في كثرة المواد، وطول المقررات، وقيام بمهام أخرى غير التدريس.

2-1 - أما ضغط التلميذ فيتمثل أساسا في قلة الاحترام والشغب وانخفاض الرغبة في الدراسة والسلوك العدواني.

3-1 وتمثل ضغط البرامج في غموض بعض مواضيعه والشك في أهمية بعضها، وأن قسما منه لا يتناسب مع مستوى التلاميذ وفي التقادم الذي اعتري بعضها.

4-1 وتلخصت ضغوط التشريع المدرسي في عدم استقراره وغموض بعض مواد، وفي تركيزها على التلميذ وتكريس حقوقه وقلة التفاتها إلى المدرس، وتركيزها على واجبات المدرس أكثر من تركيزها على حقوقه.

5-1 وانطوى ضغط الإشراف الإداري والتربوي في الانزعاج من تقييم المشرف التربوي، وفي توتر العلاقة بين المدرس والإدارة بما في ذلك مدير المؤسسة والشعور بالإقصاء من المشاركة بالرأي أو المشاركة الفعلية في عملية اتخاذ القرارات في الشؤون ذات العلاقة بالتدريس.

6-1 ويشكل الإحساس بتقاضي مرتب هزيل مقارنة بالمهن الأخرى وندرة العلاوات والتعويضات المختلفة قوام ضغط الحوافز المادية.

7-1 وتمثل ضغط العلاقات أساسا في الإحساس بتدهور العلاقات بين المدرسين وعلاقات الشك والريبة والتوجس فيما بينهم، وقلة التآزر والتعاون والمساندة والثقة.

8-1 وتجلى ضغط الدعم الاجتماعي في نظرة المجتمع المتدينة وغير المشجعة لمهنة التعليم، وفي الاتجاه السلبي لأولياء التلاميذ نحو المدرسين.

9-1 أما ضغوط المحيط الخارجي فتجلت في الانشغال الذهني بالمشاكل الأسرية، ومشاكل الحياة اليومية، كما تمثلت ضغوط البنية المدرسة في افتقار المدرسة للتجهيزات اللائقة وغياب الصيانة والتكييف غير المناسب.

2- أما فيما يخص العلاقة بين مصادر وأعراض الضغوط المهنية، فإن الأستاذ تيغزة قد توصل إلى أن جل العلاقات الارتباطية بين مصادر وأعراض الضغوط المهنية الإجهاد كانت دالة بالنسبة للعينة الكلية، لكن قوة هذه العلاقات الارتباطية كانت في جلها منخفضة. أي أنها لم ترقى إلى مستويات عليا من الضغط، مما يدل على أن مستويات الضغط هذه مستويات منخفضة،

وبالتالي لا نستطيع القول بأن عينة المبحوثين تعاني أو تواجه ضغوطا، بل تعيش منبهات ووقائع يومية عادية لا تثير توترا ملفتا للانتباه.

+ كما أكد الباحث على أن مجمل العلاقات التي تربط مصادر الضغوط بأعراض الإجهاد العقلي والانفعالي والسلوكي والاتجاهي علاقات غير مباشرة، تخضع إلى تعديل وضبط وإشراط تمارسه متغيرات أخرى شرطية ووسيطية **moderator variables** تتمثل في الأنواع أو الأنماط الثلاثة التالية:

أ_ مواصفات المعلم، وخلفيته المهنية كالجنس والعمر والخبرة والأقدمية.
ب_ خصائص شخصية الفرد وسماتها كالانطوائية أو الانبساطية، الاتزان الانفعالي، مدى تحمل الغموض، وجهة الضبط، والطرازين "أ" أو "ب" لأنماط السلوك، وغيرها.

ج_ توقع مدى توفر الدعم المادي والمعنوي داخل محيط العمل وخارجه.
ويوضح الأستاذ تيغزة طرحه السابق من خلال أمثلة يقول فيها:

"فإذا أخذنا على سبيل المثال بعدا من أبعاد الشخصية، وليكن التوازن الانفعالي الذي يدل على أن بعض تعدّله أبعاد الشخصية كالتوازن الانفعالي وغيرها. الأفراد يغلب عليهم التذبذب في حالاتهم الانفعالية عن غيرهم، وأن بعضهم الآخر يغلب عليهم الاستقرار والتوازن الانفعالي. فإن الضغوط المرتفعة سوف لا تثير مستوى مرتفعا من التوتر والقلق لدى الأفراد الذين تتصف شخصيتهم بالتوازن الانفعالي. في حين يكفي مستوى معتدل أو منخفض من الضغط في موقف العمل ليثير توترا أو قلقا مرتفعا لدى الأفراد الذين تتصف شخصيتهم بتوازن انفعالي منخفض أو متذبذب. ومعنى ذلك أن الصعوبات أو العراقيل أو الضغوط لا تؤثر على الأعراض تأثيرا مباشرا بالضرورة، بل إن هذا التأثير تعدّله أبعاد الشخصية كالتوازن الانفعالي وغيرها."

"وإذا أخذنا مثالا آخر يتعلق بالدعم الاجتماعي المتوقع، فإن المعلم الذي يتوقع أنه يحظى بدعم ومساندة معنوية أو مادية من طرف المحيط الداخلي (المدرسين الآخرين، عمال المؤسسة المدرسية، المشرفين...الخ)، أو المحيط الخارجي (الأصدقاء، الأسرة، الأقرباء)، فإنه لا يتأثر كثيرا عند اصطدامه بضغوط ومشاكل حادة في عمله ذلك أن توقعه لتوفر المساندة والدعم الاجتماعي عند الحاجة يقلل من حدة آثار الضغط المهني عليه، وعلى النقيض من ذلك إذا أدرك المعلم غياب هذا الدعم الاجتماعي الداخلي أو الخارجي عند الحاجة فإن تأثير الضغوط عليه عند مصادفتها يحدث ويتصاعد وكأن توقع المعلم لغياب الدعم او المساندة عمل على تضخيم آثار الضغط على صعيده النفسي والعضوي والسلوكي."

3- أما فيما يتعلق باستراتيجيات التصرف الخاصة، فإن الباحث طرح على أفراد العينة جملة من المواقف الإشكالية الضاغطة في مهنة التعليم، وفي كل موقف عرض عليهم مجموعة من استراتيجيات التصرف المحتملة التي تم جمعها وحصرها بناء على الدراسات السابقة التي قام بها ، والممارسة والبحوث الاستطلاعية الأولية. ولقد حدد جملة من المواقف الإشكالية الضاغطة متبوعة باستراتيجيات التصرف الخاصة بكل موقف مرتبة من أكثرها ورودا (الرتبة رقم 1) إلى أدناها ورودا في الأجوبة (الرتب المعبر عنها بالأرقام الموالية) علما بأنه عند تساوي الرتب عبر عنها بنفس الرقم الموالي بدلا من التعبير عنها بقيمة متوسط الرتب المتساوية، وقد توصل إلى مايلي:

• للقضاء على الشغب في القسم ألجأ إلى:

- 1- التوبيخ الشفوي.
- 2- العقاب المادي (الضرب).
- 3- استدعي أولياءهم.
- 4- أطرر التلاميذ المشاغبيين من القسم.

- 5- أحيلهم على المجلس التأديبي.
- عندما أدخل إلى القسم وأجد نفسي متعبا فإنني:
 - 1- استعمل الطريقة الإلقائية.
 - 2- ألقى الدرس وأنا جالس.
 - 3- أكلف التلاميذ بالقيام بالتمارين.
 - 4- أعتد على الطلبة المجتهدين في شرح الدرس.
 - 5- أجلس ولا أقدم الدرس.
- عندما تكون علاقتي ببعض الأساتذة متوترة، فإنني:
 - 1- أتجنب لقاءهم وأعتزلهم.
 - 2- أواجههم بالنقاش.
 - 3- لا أبالي بهم ولا أعيرهم أي اهتمام.
 - 4- أتنازل فأصادقهم.
 - 5- أعمل على كسب الإدارة ضدهم.
 - 6- أبحث عن أحد ليتوسط بيني وبينهم.
- إن الندوات التربوية كثيرة مما يجعلني:
 - 1- لا أوليها اهتماما رغم حضوري فيها.
 - 2- أحضرها وأنا مرغم على ذلك (عن مضض).
 - 3- لا أحضر إلا القليل منها.
 - 4- أتابعها باهتمام.
 - 5- استغلها للتحدث مع الزملاء.
- إن المرتب لا يكفي، ولذلك:
 - 1- استغني عن بعض الحاجات الأساسية.

- 2- ألجأ إلى الاستلاف.
- 3- أقوم بعمل خارج مهنتي.
- 4- أقوم بإعطاء دروس خصوصية.

ومن خلال تحليل الأستاذ الباحث تيغزة امحمد لمختلف هذه الإجابات التي يطلق عليها باسم استراتيجيات تصرف المعلمين الذين يعانون من الضغط المهني، نجده يدعو إلى مراجعة بعض المفاهيم ذات الوزن الثقيل في مجال الإرشاد والتوجيه، والتي أهمها مفهوم التوافق بمختلف أبعاده، حيث يعتبر بأن القاسم المشترك لخدمات التوجيه والإرشاد بمختلف تقنياتها وأساليبها واستراتيجياتها تستهدف تحقيق التوافق النفسي والتربوي والمهني والاجتماعي. حيث أن المعلم الذي يواجه ظروف عمل مادية غير مناسبة والمعلم الذي يجد نفسه يدرس صفوفًا مكتظة ويعاني من كثافة المواد في البرامج، والمعلم الذي يشغل في مدرسة تفتقر إلى التجهيزات ووسائل الإيضاح الضرورية والتي قد تفتقر إلى أدنى تجهيز إذا كان موقعها خارج المدن بالقرى والأرياف، والمعلم الذي يتقاضى مرتبا زهيدا بالمقارنة بالمرتبات التي يتقاضاها غيره من الموظفين والمستخدمين في مؤسسات غير تعليمية، فإن ممارسة عملية الإرشاد لهؤلاء المعلمين لتدريبهم على كيفية التوافق معرفيا وانفعاليا وسلوكيا مع هذه الضغوط المهنية تكون عملية غير مناسبة بل غير مجدية لعدة أسباب منها: أن الإشكال ليس مصدره المعلمين وإنما مصدره محيط العمل، ومنها أنه بممارستنا للإرشاد بهذه الكيفية نكون قد كيّفنا عملية الإرشاد إلى جعل المعلم يتوافق مع ظروف عمل غير ملائمة بدلا من أن نتناول محيط العمل بالتغيير عن طريق العمل في فريق متعدد التخصصات وعبر تنشيط قنوات الاتصال بمتخذي القرارات (الهيئات المشرفة).

إن هذا التحليل يبرر أن علاقة التوجيه والإرشاد بمجال الضغط أو الإجهاد المهني تبرز ضرورة التعامل بمفهوم إستراتيجيات التصرف أو التعامل Coping

Strategies بدلا من التركيز على مفهوم التوافق. فمناطق التوجيه والإرشاد هو تنمية إستراتيجية التصرف والتعامل وتطويرها بدلا من المحافظة على الحالة السكونية لتوافق الفرد. ولعل الإسهام الجوهرى لدراسات الضغط والإجهاد في مجال التوجيه والإرشاد يتمثل حسبه في لفت انتباه المرشدين إلى الأهمية المحورية التي ينبغي أن يحظى بها مفهوم إستراتيجيات التعامل أو التصرف في الإرشاد.

وإستراتيجيات التعامل أو مواجهة المواقف المهنية التعليمية الضاغطة غالبا ما تتخذ قرار لمواجهة الإشكالات الموقفية. ولذلك فإستراتيجيات اتخاذ القرارات - شأنها شأن إستراتيجيات التعامل - يجب أن تستقطب أكثر اهتمام المرشدين النفسانيين نتيجة لتأثيرها الواسع على الصعيد العقلي والنفسي والسلوكي للفرد.

إن منهجية اتخاذ القرار التي يميل الأستاذ تيغزة إليها تقوم على موازنة سلبيات البدائل والاختيارات على ضوء قيود الواقع الذاتية والموضوعية، فالبديل الملائم يتجلى في قدرته على التواصل والحوار مع العوامل الموقفية الضاغطة أو المجهدة رغم سلبياته، وليس البديل الذي يعتقد في صحته المطلقة والذي ينتقى بعزل عن المواقف المجهدة، إذ غالبا ما يكون القرار المناسب القرار الذي ينطوي على أدنى قدر من السلبيات وليس القرار الذي يتمتع بأقصى مستوى من الصحة.

وانطلاقا من كل ما سبق، يقدم لنا الأستاذ تيغزة نموذجا تنظريا، الذي يقوم على العمليات أكثر مما يقوم على العلاقات.

إن من أهم ما يبرزه هذا النموذج أن الضغوط الموضوعية في مواقف التعليم لا تدرك كضغوط أو مصادر إجهاد إلا بناء على ما تقررته ما أسماه "بمعادلة إدراك الضغط الفردية"، وهذه المعادلة الإدراكية هي محصلة إسهام:

أولاً: عملية إدراك وتأويل الموقف.

ثانياً: الموارد الشخصية المتمثلة في رصيد الخبرات السابقة، وفي رصيد إستراتيجيات أو أساليب التصرف التي اختبرها الفرد في الماضي.

ثالثاً: الموارد المحيطية المتمثلة في الدعم والتشجيع المتوقع من المحيط، إن تفاعل إسهام الإدراك والموارد المحيطية أو الاجتماعية يقرر الكيفية التي تدرك بها المواقف، تؤول على أنها مواقف ضاغطة أو غير ضاغطة، مواقف إشكالية أو غير إشكالية، فمعادلة إدراك الضغط تجعل الأفراد يختلفون في تقويمهم لنفس المواقف، فما يدركه معلم على أنه موقف إشكالي قد يدركه معلم آخر على أنه موقف غير إشكالي إطلاقاً، وذلك نتيجة اختلاف معادلتهم الإدراكية للضغط.

إن الشعور بالمواقف الضاغطة حسب الأستاذ يغزة يولد لدى المعلم تغيرات انفعالية وفسولوجية آنية مما يدفع به إلى بناء إستراتيجية للتصرف أو التعامل للتخفيف من الألم والتوتر، إن إستراتيجيات التصرف أو التعامل قد تنجح في التخفيف من وطأة الإجهاد وقد تعمل على تصعيدها. ويترب على مدى فعالية إستراتيجيات التصرف أو التعامل على المدى الطويل احتمال تطور الاضطرابات المعرفية والانفعالية والسيكوسوماتية والاتجاهية والسلوكية الأدائية، كما أن لاستراتيجيات التعامل أثراً مرتداً أو راجعاً في كيفية إدراك محط العمل وتقويمه في المواقف المهنية المقبلة ذات العلاقة بالمواقف السابقة، فنجاح إستراتيجية تعامل معينة في التخفيف من إجهاد موقف ضاغط معين يؤدي بالفرد إلى عدم التأثر السريع، وعدم التضخيم الإدراكي للمواقف الضاغطة المشابهة أو المتقاربة التي يصادفها الفرد في المستقبل.

خلاصة الدراسة الأولى:

إذن ومن خلال ما سبق عرضه، نستخلص بأن النتائج التي توصل إليها الأستاذ الدكتور تيغزة امحمد لمصادر الضغوط المهنية للمعلمين وعلاقتها بأعراض الإجهاد لديهم، من شأنها أن تسهل الطريق أمام الباحثين الذين يريدون الخوض في مجال دراسة الضغط المهني أو الوظيفي، وستساعدهم كثيرا في إتباع منهجية العمل المميزة التي انتهجها الأستاذ تيغزة، والتي تجلت ابتداء من الطرح الفلسفي والمفاهيمي الأصيل، إلى طرح التساؤلات الواضحة والعميقة واختيار الفرضيات القابلة للقياس، والتنوع الكبير في استخدام أدوات البحث، بالإضافة إلى التمثيل الكبير لأفراد المجتمع الأصلي المتمثل في معلمي وأساتذة الأطوار الثلاثة (الابتدائي، المتوسط، الثانوي)، وكل ذلك المجهود العلمي الضخم ككله الأستاذ تيغزة باقتراحه لنموذج تنظيري يفسر من خلاله بأن: الضغوط المهنية في مواقف التعليم لا تدرك كضغوط أو مصادر إجهاد إلا بناء على ما تقرره ما أسماه بـ "معادلة إدراك الضغط الفردية".

2- الدراسة الثانية:

دراسة الباحث زبدي ناصر الدين، والموسومة بـ "سيكولوجية المدرس، دراسة وصفية تحليلية" والتي قام بها بهدف الحصول على شهادة دكتوراه الدولة في علم النفس بجامعة الجزائر سنة 2004.

1-2 أهداف الدراسة: (ص17-ص)

هدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى:

- التعرف على العوامل التي تساهم في إيجاد عصاب القلق عند المدرس الجزائري.

- معرفة انعكاسات هذا القلق على حياته المهنية ومستوى توافقه مع البيئة التعليمية.
- اكتشاف أبعاد المظاهر السلوكية السوية وغير السوية عند المدرس على اتجاهات تلاميذه ومستوى تحصيلهم المدرسي.
- الكشف عن أهم الصعوبات الصحية والنفسية وأسباب القلق التي يصارعها المدرس الجزائري باستمرار، وكيفية تأثيرها على شخصيته ومردوده وأدائه التربوي.
- البحث عن أساليب العناية والرعاية المطلوبة للتغلب على تلك الصعوبات من أجل تحسين مستوى أدائه التربوي، ودرجة توافقه النفسي والاجتماعي، لأن المربي السليم يبني لنا حتما مجتمعا سليما، مع ضرورة العناية النفسية والاجتماعية به بصفته الدعامة الأولى في التعليم.

2-2 تساؤلات الدراسة:

انطلق الباحث بعدة تساؤلات من بينها:

- ما هي الفروق الموجودة بين المدرسين المرضى والمدرسين الأصحاء في درجات قلق الحالة، ودرجات قلق السمة؟
- هل أن الإصابة بمرض جسمي معين أو زيادة حدته خلال ممارسة التعليم تزيد من حدة القلق لدى المدرس؟
- وهل لهذا القلق الناتج عن عوامل جسمية انعكاساته على مستوى السلوك؟
- ما هي المظاهر السلوكية التي تبدو عليه أثناء حالات القلق التي تنتابه؟
- وهل تؤثر أبعاد شخصية المدرس (الاتزان والعصابية/الإنطوائية والانبساطية) على كل من درجات قلق الحالة، ودرجات قلق السمة؟

وقد استند الباحث على العديد من الدراسات التي أثبتت أهمية الانعكاسات النفسية على صحة الأفراد وتوازن سلوكياتهم، وأهمية الرضا والروح المعنوية المرتفعة الناتجة عن ذلك لدى المستخدمين عامة، ولدى المدرسين خاصة على مردودياتهم، من بينها دراسة "هيبرمان" (Huberman, 1989) بسويسرا، والتي تركز على تحديد عوامل "الاحتراق النفسي" Burnout على مستوى عامل المدرس في القسم، وقد توصل إلى أن المناخ الاجتماعي العاطفي داخل المؤسسة المدرسية يلعب دورا مهما، فمثلا هو عامل وقائي قد يكون إذن عاملا علاجيا. كذلك دراسة فورتان جيزي (Fortin, 1989) بكندا حول الضغط النفسي وأثره على سلوك مديري المدارس بمقاطعة الكيبك. وأيضا دراسة "فريناي ولانتز" (Frenay, M & lents, F, 1991) ببلجيكا حول عوامل المضايقة المهنية لدى المدرسين.

3-2 أدوات الدراسة:

وقد استعان الباحث بتطبيق أدوات قياسية تمثلت في:

- قائمة أيزينك (Eysenck) للشخصية ومقياس القلق "الحالة والسمة" لسبيلبرجر.
- مقياس القلق "الحالة والسمة" STAT لسبيلبرجر،
- تصميم استمارة بحث شاملة تتضمن ثلاثة محاور: تقيس على التوالي المشاعر والأعراض النفسية وكذلك المظاهر السلوكية للمدرس.

عينة الدراسة:

تمثل مجتمع البحث مجموع المدرسين الذين يمارسون مهمتهم في مراحل التعليم التالية: التعليم الابتدائي (بطوريه الأول والثاني أساسي)، والتعليم

المتوسط (الطور الثالث أساسي) والتعليم الثانوي، من الجنسين أي مدرسين (ذكور) ومدرسات (إناث) لهم خبرة مهنية تفوق الثلاث سنوات.

ولقد تم توزيع أدوات البحث على 754 مدرسا من الجنسين وذلك عبر 12 ولاية من ولايات الوطن على مراحل التعليم المختلفة، والذين توزعوا كما يلي:

أ- حسب مراحل التعليم:

- 296 مدرسا على مستوى التعليم الثانوي
- 201 مدرسا على مستوى التعليم المتوسط
- 257 مدرسا على مستوى التعليم الابتدائي

ب- حسب الجنس:

- 345 مدرسة (أنثى)
- 409 مدرسا (ذكر)

ج- حسب الإصابة بالمرض:

- 523 مدرسا مصابا ببعض الأمراض الجسمية. (مثل الحساسية والربو وقرحة المعدة وأمراض السكري... إلخ).
- 231 مدرسا غير مصاب بأي مرض جسدي حسب تصريحهم.
- وقد تم استخراج العينات المدروسة بطريقة عشوائية من بين مدرسي مختلف المؤسسات التعليمية.

4-2 نتائج الدراسة:

وقد توصل الأستاذ الباحث زبدي ناصر الدين إلى عدة نتائج تتعلق بجميع الأسئلة التي طرحها في بحثه، نعرض أهمها كما يلي:

- + إن 76,90% من المدرسين المرضى إلى جانب 76,70% من الأصحاء يرون بأن النظم التعليمية واللوائح غير معمولة لصالح المدرسين .

- + أن نسبة 71,80% من المدرسين المرضى يرون أن الإدارة لا تهتم باقتراحاتهم، كذلك نسبة 64,80% من عينة المدرسين الأصحاء ترى نفس الأمر.
- أن 54,80% من المدرسين يرون أن التفتيش لا يتم بشكل موضوعي وتربوي، إلى جانب نسبة 54,70% من الأصحاء. مقابل نسبة 45,20% من المرضى إلى جانب 45,30% من الأصحاء ترى عكس ذلك.
- أن نسبة معتبرة من المدرسين يعانون كثيرا من صعوبة ممارسة دورهم التربوي لهذه الفئة من المتعلمين، ويرون أنه لا يوجد قابلية لدى التلاميذ للتعلم حيث عبر عن ذلك نسبة 31,70% من المدرسين المرضى إلى جانب 43,40% من المدرسين الأصحاء، مقابل نسبة 68,30% من المدرسين المرضى، إلى جانب 56,60% من الأصحاء يرون عكس ذلك.
- أن نسبة 94,60% من المدرسين المرضى إلى جانب 89,90% من الأصحاء يرون أن اكتظاظ الأقسام يعيق أداؤهم التربوي ويصعب من مهمتهم في توصيل المعارف.
- إن الحجم الساعي المعمول به غير مناسب، وقد يزيد عن الحد اللازم في مقابل الجهد المبذول والأجر الزهيد الذين يحصلون عليه، حيث عبر عن ذلك 73,40% من المدرسين المرضى إلى جانب 70,40% من الأصحاء.
- أما فيما يتعلق بالأجر فقد أكد معظم أفراد عينة المدرسين بأنه لا يعادل الجهد الذي يبذلونه في التدريس، فقد عبر عن ذلك 91,70% من المدرسين المرضى إلى جانب 89,90% من المدرسين الأصحاء.

- عبر 93,30% من المدرسين المرضى إلى جانب 86,80% من الأصحاء بأن مكانة المدرس الاجتماعية أصبحت مهزوزة.
- نسبة المصابين منهم بقلق قوي 50,79% من أفراد العينة، إلى جانب 05,79% يشعرون بقلق قوي جداً، بينما تمثل نسبة 43,63% نسبة المدرسين ذوي قلق عادي
- كما أكد المدرسون على غلبة العوامل المرتبطة بالمهمة التربوية وتأثيرها على حياتهم النفسية.
- و أحصى المدرسون في دراسة الأستاذ زبدي بعضاً من السلوكات السلبية التي يقومون بها مع تلاميذهم داخل القسم الدراسي و ذلك كرد فعل على سلوكات التلاميذ أو تعبيراً منهم عن القلق الذي يحسون به، وقد كانت هذه السلوكات كما يلي:
- 1- رمي التلاميذ بالطبشور بنسبة 70,56%.
- 2- معاقبة التلاميذ بالشتيم بنسبة 32,31%.
- 3- إخراج التلاميذ من القسم: وقد أظهر أغلب المدرسين استعداداً واضحاً للتصرف بإخراج التلاميذ من القسم، حيث عبر على ذلك حوالي 57,17%.
- 4- مجادلة التلاميذ بحدة: و قد تجت هذه الظاهرة السلوكية لدى 53,35% من المدرسين المرضى، مقابل ما يظهر لدى 50,22% من المدرسين الأصحاء.
- 5- التوقف المفاجئ عن إلقاء الدرس:

قد يصل الأمر بالمدرس أن يتوقف عن التدريس بشكل مفاجئ، عندما يزعج وتتوتر أعصابه أمام ظاهرة التشويش في القسم، أو أمام موقف محرج مع تلميذ معين فلا يجد وسيلة غير التوقف عن الدرس أو الخروج من القسم، وتحدث

مثل هذه الظاهرة السلوكية من حين لآخر عند 54,30% من المدرسين المرضى، مقابل ما يحدث لدى 51,95% من المدرسين المرضى.

+ كما أكد الباحث زبدي على أن عامل صحة المدرس أو مرضه لا يعتبر ذا تأثير دال على ظهور هذه السلوكات، أي أن المعلمون بغض النظر إن كانوا يعانون من مرض أو من حالة قلق أم لا، نجدهم يتبعون نفس التصرفات مع تلاميذهم.

إن هذه النتائج تؤكد على أن نسبة معتبرة من المدرسين الجزائريين يسلكون سلوكات خاطئة مع تلاميذهم داخل القسم الدراسي، وهي كما لاحظنا سلوكات من شأنها أن تخلق صراعات بينهم وبين تلاميذهم.

خلاصة الدراسة الثانية:

من خلال ما سبق عرضه، نستخلص بأن النتائج التي توصل إليها الباحث زبدي ناصر الدين تفيد كثيرا في لفت انتباه المعنيين بالتربية بأن البحث عن سبل تحسين المنظومة التعليمية، لا يكفي بالنظر إلى الجانب المادي والبرامج فقط، بل لابد من ضرورة العناية النفسية والاجتماعية بالمدرس، بصفته الدعامة الأولى في التعليم.

وقد كشف الباحث زبدي ناصر الدين عن أهم الصعوبات الصحية والنفسية وأسباب القلق التي يصابها المدرس الجزائري باستمرار، وكيفية تأثيرها على شخصيته ومردوده وأدائه التربوي وبحث أساليب العناية والرعاية المطلوبة للتغلب على تلك الصعوبات من أجل تحسين مستوى أدائه التربوي، ودرجة توافقه النفسي والاجتماعي.

وقد تناولت هذه دراسة كما لاحظنا أبعادا متعددة ومتداخلة تمثلت في جنس المدرس، المرحلة التي يدرس فيها، صحته الجسدية، نمط شخصيته، مستوى القلق الذي يعاني منه... وهي أبعاد يصعب تناولها وقياس تأثيرها في بحث واحد.

كما استخدم الباحث أدوات قياس مناسبة ومتوافقة مع أهداف وافتراضات دراسته، بالإضافة إلى عينة الدراسة التي رأينا بأنها توزعت على 12 ولاية من التراب الوطني وهذا ما أعطى للباحث الحق في تعميم نتائج دراسته، مع أننا سجلنا تحفظا حول الطريقة العشوائية التي اختارها الباحث عينة بحثه، والتي كانت من المفروض أن تكون فيها عينة المدرسات إناث أكثر من عينة المدرسين ذكور، لأن تمثيل المدرسات في المجتمع الأصلي هو أكبر بكثير من تمثيل المدرسين ذكور.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه، نستخلص بأن النتائج التي توصل إليها الباحث زبدي ناصر الدين تتوافق مع النتائج التي توصل إليها الباحث تيغزة امحمد وخاصة فيما يتعلق بنوع الصعوبات أو الضغوط المهنية التي يشتكي منها المعلمون في مختلف المراحل التعليمية، إذ يعتبر المدرسون الجزائريون بأنهم يعملون في وسط ظروف مهنية قاسية مشحونة بالمتاعب والصعوبات كاحتفاظ الأقسام، وقلة الوسائل البيداغوجية وضغوط الإدارة، و بأنهم يتموضعون بين مقاومة التلاميذ ونظام المدرسة من جهة، وبين متطلبات المناهج الكثيرة المحتوى وقدرات التلاميذ من جهة ثانية.

كما توافقت نتائج الدراستين فيما يخص ردود الأفعال الصادرة عن المعلمين أثناء تعاملهم مع الصعوبات أو الضغوط التي تواجههم، والتي أكدت الدراستين على أنها تتحدد بشكل دال بحسب نمط شخصية كل معلم.

المراجع

- 1- امحمد تيغزة: مقارنة نقدية تحليلية لقضايا تربوية نفسية معاصرة، إصدارات مخبر التربية والتنمية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005.
- 2- ناصر الدين زبدي: سيكولوجية المدرس دراسة وصفية تحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

3- <http://www.maganin.com/articles/articlesview.asp?key=307>